



منهج العلماء العملي مع كفریات ابن عربي

بقلم

د. محمد بن رزق بن طرهوني

مقدمة :

مقالنا اليوم عن شخصية شهيرة ملأ ذكرها أسماع الدنيا وتنتقل صاحبها بين منزلتين ، منزلة عظماء الأولياء والأصفياء عند الله تعالى ومنزلة الكفار الملحددين الزنادقة المرتدين .

إنه الشيخ محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي (نسبة إلى مرسية بلدة بالأندلس وليس محمد مرسي) **بن العربي** " نزيل دمشق " .

ترجمنا له ودرسنا كتابه ومنهجه في التفسير في رسالة الدكتوراه " التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا " (وهي متوفرة على الشبكة) .

ألف فيه الإمام برهان الدين البقاعي (809 هـ - 885 هـ) كتاباً سماه " تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي " وهو كتاب تحليلي عن عقيدة وفكر ابن عربي قال في مقدمته:

- وبعد فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي المنسوب إلى التصوف الموسوم عند أهل الحق بالوحدة ولم أر من شفى القلب في ترجمته ، وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً حتى يُعلم حاله فيُهجّر مقاله ويعتقد انحلاله وكفره وضلاله وأنه إلى الهاوية مآبه ومآله .
وقد وافق البقاعي جماعة ألفوا في تكفيره كذلك .

وألف فيه الإمام جلال الدين السيوطي (849 هـ - 911 هـ) رسالة يرد على البقاعي فيها سماها " تنبيه الغبي في تيرئة ابن عربي " قال في أولها :

- قد سئلت في ابن عربي ما حاله ؟ وفي رَجَلٍ أَمَرَ بِإِحْرَاقِ كِتَابِهِ وَقَالَ " إِنَّهُ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنْ أَدْعَى اللَّهَ وَلِدًا " فما يلزمه في ذلك ؟ .

الجواب : قد اختلف الناس قديماً وحديثاً في ابن عربي

- فرقة تعتقد ولايته (وهي المصيبة) و من هذه الفرقة الشيخ تاج الدين بن عطاء الله من أئمة المالكية ، والشيخ عفيف الدين الياضي من أئمة الشافعية ، فإنهما بالغا في الثناء عليه و وصفاه بالمعرفة .
- وفرقة تعتقد ضلاله ومنهم طائفة كبيرة من الفقهاء .
- وفرقة شكت في أمره ومنهم الحافظ الذهبي في الميزان .

- إلى أن قال : "والقول الفصل عندي في ابن عربي طريقة لا يرضاها فِرَقَتَا أهل العصر ، لا من يعتقده ولا من يحطّ عليه ، وهي اعتقادُ ولايته وتحريم النظر في كُتُبِهِ " .

وقد وافق السيوطي جماعةً ألقوا في مدحه والثناء عليه بل في ولايته ، فهذا إمام وذاك إمام كلاهما اطلع على كفرياته التي لا يختلف فيها اثنان ولا ينتطح فيها عنزان ، ولكن لكل وجهةً هو مولياها ، فهذا نظر لظاهر كلامه ودلالاته ، وذاك نظر لأصل الرجل وتأويلاته .

جانب من الكفریات الصريحة التي وردت في بعض مؤلفاته :

❖ مما ذكرناه في رسالتنا للدكتوراه في قوله تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه" ، يقول بن عربي :

- فعلماء الرسوم يحملون لفظ " قضي " على الأمر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح ، فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى ، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوا إليهم ، ولهذا يقضي الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيراً منه على المقام أن يهتضم .

وإن أخطأوا في النسبة فما أخطأوا في المقام ، ولهذا قال " إن هي إلا أسماء سميتوها " أي أنتم قلتم عنها : إنها آلهة ، وإلا فسموهم ، فلو سموهم لقالوا : هذا حجر أو شجر أو ما كان ، فتمتيز عندهم بالاسمية ، إذ ما كل حجر عبْد ولا اتُّخذ إليها ، ولا كل شجر ولا كل جسم منير ولا كل حيوان ، فله الحجة البالغة عليهم بقوله : قل سموهم .

وإنما الخطأ في إثبات الغير وهو القول بالشريك ، فهذا القول بالعدم : لأن الشريك ليس ثم ، وذلك لا يغفره الله ، لأن الغفر الستر ، ولا يستر إلا من له وجود ، والشريك عدم فلا يستر ، فهي كلمة تحقيق أن الله لا يغفر أن يشرك به لأنه لا يجده . فلو وجده لصحَّ وكان للمغفرة عين تتعلق بها .

❖ ويقول البقاعي في عقيدة ابن عربي وكيده للإسلام :

- وينبغي أن يُعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي أنه لا شيء سوى هذا العالم وأن الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته .

ثم إنه يسعى في إبطال الدين من أصله بما يُحل به عقائد أهله بأن كل أحد على صراط مستقيم وأن الوعيد لا يقع منه شيء وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب المتنوع به إنما هو نعيم وعذوبة ونحو ذلك ، وإن حصل لأهله ألم فهو لا ينافي السعادة والرضى كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يحط عند من له وعي على اعتقاد أنه لا إله أصلاً وأنه ما ثمَّ إلا أرحام تدفع وأرض تبلع وما وراء ذلك شيء .

ويقول في تكذيبه صريح القرآن :

- وقال في فص حكمة أحذية في كلمة هودية : " ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم " ، فكل ماشٍ فعلى صراط الرب المستقيم ، فهم غير مغضوب عليهم من هذا الوجه ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضاً فكذلك الغضب الإلهي عارض ، والمآل إلى الرحمة التي وسعت كل شيء .

ويقول في إفكه على الله :

- ثم قال : اعلم أن العلوم الإلهية الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة منها مع كونها ترجع إلى عين واحدة ، فإن الله تعالى يقول كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها ، فذكر أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين العبد ، فالهوية واحدة والجوارح مختلفة ولكل جارحة علم من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح ، كالماء حقيقة واحدة مختلف في الطعم باختلاف البقاع .

آراء العلماء في محيي الدين بن العربي :

انقسم العلماء تجاه هذا الرجل أقساماً :

- قسم صرح بكفره عينا وهم أقرب إلى الصواب .
- وقسم صرح بكفر أقواله أو بكفر طائفته ومن شك في كفرهم وإن لم يصرح بكفره عينا وهم أقرب إلى السلامة .
- وقسم صرح بضلال الرجل وخطئه ولم يكفره ولم يكفر أقواله ولا طائفته .
- وقسم سكت عن الرجل جملة .
- وقسم أثنى عليه واعتذر عما صدر عنه بعدم فهم العوام له .
- وقسم طار به وعظمه وشهد له بالولاية وهؤلاء فيهم من الضلال مثله أو ما يقاربه .

وننقل طرفاً من كلام هؤلاء العلماء هنا فنقول :

- نقل البقاعي عن العراقي في كراسة أجاب فيها سؤال من سأله عن بعض كلام ابن عربي وقوله في قوم نوح "لا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ" إلى آخره : كلامٌ ضلالٌ وشركٌ واتحادٌ وإلحادٌ ، فجعل تركهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوح عن عبادتها جهلاً يفوّت عليهم من الحق بقدر ما تركوا .

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ابن عربي صاحب فصوص الحكم وهي مع كونها كفراً فهو أقربهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيرا ، ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره بل هو كثير الاضطراب فيه ، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيل فيه الحق تارة والباطل أخرى والله أعلم بما مات عليه .

- وقال الذهبي : وما عندي أن محيي الدين تعمد كذباً ، لكن أثرت فيه تلك الخلوات والجوع فساداً وخيالاً وطرف جنون ، وصنّف التصانيف في تصرف الفلاسفة وأهل الوحدة .

فقال أشياء منكراً عدّها طائفة من العلماء مروقاً وزندقة ، وعدّها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين ، وعدّها طائفة من متشابه القول ، وأن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان ، وأنه صحيح في نفسه كبير القدر . وآخرون يقولون : قد قال هذا الباطل والضلال ، فمن الذي قال إنه مات عليه ، فالظاهر عندهم من حاله أنه رجع وأتاب إلى الله ، فإنه كان عالماً بالآثار والسنن ، قوي المشاركة في العلوم .

وقولي أنا فيه : أنه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جنبه عند الموت وختم له بالحسنى ، فأما كلامه فمن فهمه وعرفه على قواعد الاتحادية وعلم محط القوم ، وجمع بين أطراف عباراتهم تبين له الحق في خلاف قولهم .

وقال :

ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله .
ثم قال :

وقد عظمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات وقد حكى العلامة ابن دقيق العيد شيخنا أنه سمع الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يقول عن ابن العربي شيخ سوء كذاب يقول بقدّم العالم ولا يحرم فرجا ، قلت إن كان محيي الدين رجع عن مقالاته تلك قبل الموت فقد فاز وما ذلك على الله بعزيز .

وله شعر رائق وعلم واسع وذهن وقاد ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص .

ومع ذلك يصفه الذهبي نفسه بقوله: العلامة صاحب التواليف الكثيرة!!!

- وقال الحافظ ابن حجر : " وقد كنت سألت شيخنا سراج الدين البلقيني عن ابن عربي فبادر بالجواب : هو كافر " .

- وقال تقي الدين السبكي : "ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره فهم ضلّال جهّال خارجون عن طريقة الإسلام فضلاً عن العلماء .

- وقال ابن المقري : إن الشك في كفر طائفة ابن عربي كفر .

- وسئل الشيخ شرف الدين المناوي عنه فأجاب : إن السكوت عنه أسلم ، وهذا هو اللائق بكل ورع يخشى على نفسه .

- **وقال ابن العماد الحنبلي :** وقع له في تضاعيف كتبه كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها ، وكانت سبباً لإعراض كثيرين ممن لم يحسنوا الظن به ، ولم يقولوا كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين والعلماء العاملين والأئمة الوارثين ، وإن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد ، وإنما المراد أمور اصطلاح عليها متأخروا أهل الطريق ، غَيْرَةً عليها حتى لا يدعيها الكذابون ، فاصطلحوا على الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة خلاف المراد غير مبالين بذلك لأنه لا يمكن التعبير عنها بغيرها .

- **وقد كان الشوكاني من المنتقدين له بل والمكفرين ، فرجع عن قوله في آخر حياته ، وقال رداً على سؤال وجه له بخصوص الحلاج وابن عربي :**

« فأجبت عن هذا السؤال برسالة في كراريس سميتها " الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد " وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب ، وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفاً لهذه الشريعة البيضاء الواضحة التي ليلها كنهارها ولم يتعبدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام » .

- **وقال الشيخ محمد صديق خان :** الراجح فيه على ما ذهب إليه العلماء المحققون الجامعون بين العلم والعمل والشرع والسلوك "السكوت في شأنه" ، وصرف كلامه المخالف لظاهر الشرع إلى محامل حسنة ، وكف اللسان عن تكفيره وتكفير غيره من المشايخ الذين ثبت تقواهم في الدين وظهر علمهم في الدنيا بين المسلمين وكانوا ذروة عليا من العمل الصالح ، ومن ثم رأيت شيخنا الإمام العلامة الشوكاني في الفتح الرباني مال إلى ذلك وقال " لكلامه محامل " ورجع عما كتبه في أول عمره بعد أربعين سنة .

وأقول في هذا الكتاب : إن الصواب ما ذهب إليه الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني ، والشيخ الأجل مسند الوقت أحمد ولي الله المحدث الدهلوي ، والإمام المجتهد الكبير محمد الشوكاني من قبول كلامه الموافق لظاهر الكتاب والسنة ، وتأويل كلامه الذي يخالف ظاهرهما ، وتأويله بما يستحسن من المحامل الحسنة ، وعدم التفوه فيه بما لا يليق بأهل العلم والهدى والله أعلم بسرائر الخلق وضمايرهم .

- **وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي صاحب كتاب الزواج عن اقتراف الكبائر :**

« الذي أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يُستسقى بهم الغيث ، وعليهم المعول واليه المرجع في تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات ، أن الشيخ محي الدين بن عربي من أولياء الله العارفين ومن العلماء العاملين ، وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه ، بحيث أنه كان في كل فن متبوعاً لا تابعاً ، وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يُجارى ، وإمام لا يغالط ولا يمارى ، وأنه أروع أهل زمانه وألزمهم للسنة وأعظمهم مجاهدة » .

الخاتمة :

هل سمعتم بعالم احتاج إلى تأليف كتاب أو رسالة لإثبات كفر قسيس أو كاهن يهودي أو راهب بوذي ???

هل سمعتم بعالم ألف كتابا أو رسالة للرد على من فعل ذلك وإثبات صحة إسلام بل إثبات فضل وعلم ذلك الشخص ???

هل كفر من ألف في كفره من ألف في نفي كفره ???

هل سمعتم بعالم يبحث عن تأويل سائغ لكلام كفري صدر من كافر أصلي ???

هل أصبح هجيري طلبه العلم من يكفر ابن عربي ومن لم يكفره ؟ فضلا عن العوام الذين هم لا في العير ولا في النفير ???

هل صدرت فتوى عامة للعوام باعتقاد كفره وأنه شرط لصحة دينهم ???

هل صدر أي حكم أو نفذ أي مرسوم على هذا الشخص ???

هل فسخ نكاحه ؟ هل قتل ردة ؟ هل لم يصل عليه ؟ هل لم يدفن في مقابر المسلمين ؟ هل رفض توريثه ؟

أين حكام ذلك الزمان عن إقامة حد الردة عليه ؟

أم سكتوا عنه ، فلماذا سكت عنهم علماءهم وهم يتركون زنديقا مثله ينشر الإلحاد ؟؟

هل صدر حكم بتكفير تلامذته ومحبيه ومريديه من العوام ؟ أو صدر حكم بتكفير من أتى عليه ومدحه ؟

ولا يقول قائل قد خفيت حاله في زمانه على أهل زمانه ، ونقول هذه دعوى باطلة بل ظهرت حاله لهم جليا وأفتى بكفره كثيرون

لاسيما علماء مصر وحبس في هرطقاته وشفع له علماء حتى خرج .

هذا كله فيه عينه ونفسه وذاته..

أما من لم يكفره فهل حكم أحد بكفرهم ؟

وبالتالي نعود للتساؤلات نفسها أعلاه فنطرحها بشأن من لم يكفره .

ونزيد هل ذهب إليهم علماء زمانهم فضلا عن عوامه وجهلته فأقاموا عليهم الحجة ثم كفروهم لأنهم لم يكفروه بعد إقامة الحجة

عليهم ؟

وأخيرا ننصح من أراد الاستزادة عن ابن عربي بكتاب:
" ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه - من القرن السادس إلى القرن الثالث عشر "
تأليف الدكتور: دغش بن شبيب العجمي
وهذا رابطته:

www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=36893

وهذا رابط التحميل

<http://www.ajurry.com/vb/attachment.php...>

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته